على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وصلتهم التقليدية بالحكومة الفرنسية ونشاط البعثات الكاثوليكية بينهم ٠

كذلك فان وضع المسلمين غير عادي ايضا ٠ فالدروز والشيعة معا يفوقون السنة عددا ، ولذا فان الاخيرين ابعد ما يكونون عن تأليف اكثرية او عن التمكن من بناء كتلة اسلامية متينة لكونهم مع هذا يحافظون ، بدرجة معينة ، على عقلية الطائفة الحاكمة ٠ وكما ذكرنا سالفا فان المدن الساحلية التي يقطنها معظم ابناء الطائفة السنية لم تكن تشكل جزءا من لبنان قبل الاحتلال الفرنسي ، بل كانت جزءا من ولاية بيروت العثمانية ٠ وبضمهم الى لبنان وجد ابناء هذه الطائفة انفسهم وقد تحولوا فجأة من جماعة حاكمة الى طائفة بين طوائف عديدة في دولة ذات مناخ مسيحي الى حد كبير ٠ وقد كان هذا تغييرا صعب عليهم القبول به ٠

لبنان الكبير والصغير

ثمة فارق بارز اخر وهو بين سنجق لبنان القديم والاقضية التي كانت سابقا جزءا من ولايتي بيروت ودمشق والتي اضافها اليه الفرنسيون لتكوين الجمهورية اللبنانية ،فسكان السنجق القديم هم بصورة رئيسية موارنة ودروز وروم كاثوليك ، في حين يتألف سكان الاقضية من روم ارثوذكس وروم كاثوليك في جميع الاجزاء ، وارمن في بيروت وسنة في المدن الساحلية وشيعة في الجنوب والبقاع ٠ ولدى الاولين تقليد سياسي من الحكم الذاتي ، وتقليد اجتماعي من الاقطاعية وتقليد ديني من التسامح يربطهم معا، وقد كان من القوة الى درجة كافية جعلت السنجق المتمتع بالحكم الذاتي يعمل بنجاح ٠ اما الاخيرون فلا يؤلفون جزءا من التقليد اللبناني ولا يملكون اي تقليد مشترك خاص بهم ٠ وبالاضافة الى ذلك فان طائفة واحدة على الاقل ، وهي الطائفة السنية ، وعناصر مهمة في معظم الطوائف الاخرى ، لم تكن ترغب بالانضمام الى لبنان الكبير قط ٠ ولا يزال التوتر مستمرا بين الطوائف التي تؤلف جزءا من لبنان الحقيقي والطوائف الاخرى ٠

السياسة الفرنسية

لا يمكن لدولة على مثل هذا الانقسام العميق في التركيب وفي الافكار ، كالجمهورية اللبنانية المفتقرة ايضا الى اية روح وطنية موحدة ، ان تستمر في الوجود ، في شكلها الراهن على الاقل ، الا اذا كانت هناك قوة خارجية ما تسيطر عليها سيطرة وثيقة وتتدخل باستمرار في شؤونها ٠ وقد كانت الدولة المنتدبةهي التي توفر هذه السيطرة الخارجية حتى عام ١٩٤٣ ٠ وكانت سياستها موجهة نحو جعل لبنان حصنا من حصون النفوذ الفرنسي٠ وأدى هذا الهدف الى خلق لبنان مستقل وتوسيع حدوده ٠ كما انه اوحى بمحاولات المحافظة على اكثرية مسيحية رغم توسيع الحدود والتزايد الاكثر سرعة بين السكان المسلمين: كان هذا احد اسباب توطين اللاجئين الارمن حول بيروت ٠ كما بذلت كل الجهود الممكنة لربط المسيحيين بفرنسا ربطا اوثق : عن طريق النشر السريع والمنظم للثقافة الفرنسية ، ومحاباة المسيحيين في الشؤون السياسية والادارية ، واثارة مخاوفهم من الاضطهاد الاسلامي ٠ وجرت محاولة مماثلة لاستمالة المسلمين من غير السنة ولكن الى حد اقل ، بل حتى جرت محاولة « لفرنسة » السنة بواسطة التعليم ٠